

الحملة العسكرية بشرق إفريقيا إبان الحرب العالمية الأولى (1914-1918)

أ. بوسليمان عبد الرحمان

جامعة البليدة 2

ملخص

تعد دراسة الحملات العسكرية الأوروبية في إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، مسألة في غاية الأهمية في تاريخ القارة السمراء لكونها تشكل ذلك الفصل الأخير من التنافس الأوروبي عليها.

ويشكل البحث محاولة لكشف الغموض عن موضوع ما زال بحاجة إلى مزيد من الدراسة، لأن معظم الدراسات والكتابات تناولت الحملات الأوروبية خلال الحرب العالمية الأولى وما ترتب عليها من توزيع واقتسام للمستعمرات الألمانية في إفريقيا على الدول المنتصرة في الحرب، متجاهلة أثر هذه الحملات على المجتمعات الإفريقية وعلى هيكلهم الاجتماعي والاقتصادي.

Résumé :

L'étude des campagnes militaires en Afrique pendant la première guerre mondiale (1914-1918), revêt une grande importance dans l'histoire du continent Africain, puisque elles y constituent la dernière étape de la compétition européenne.

L'étude est une tentative d'écarter l'ambiguïté sur un sujet qui a encore besoin davantage de recherches, car la quasi totalité des écrits ont abordé des expéditions européennes en Afrique pendant la première guerre mondiale et tout ce qui en découle d'une livraison des colonies allemandes d'Afrique aux pays victorieux de la guerre, tout en ignorant des effets de ces campagnes sur des sociétés Africaines et leurs structures socio-économiques.

مقدمة

قامت الحرب العالمية الأولى في أوروبا في جويلية 1914، وكانت في الأصل نزاعا بين الأوروبيين شاركت فيه إفريقيا بشكل مباشر أو غير مباشر. لأن الغالبية العظمى لأجزائها كانت عند اندلاع الحرب خاضعة لحكم الأوروبيين المتحاربين فيما بينهم. وقد شهدت إفريقيا أثناء الحرب معارك كبرى، وبالرغم من أن تأثيرها على سير الحرب كان هامشيا، إلا أن آثارها كانت هامة بالنسبة لإفريقيا. فكانت منطقة شرق بالخصوص مسرحا للقتال العنيف بين القوات المشتركة للحلفاء بقيادة بريطانيا العظمى والألمان الذين كانوا يستعمرون المنطقة. وقد حشد الطرفان عدد كبير من الأفارقة بالقوة الجبرية، ليعملوا كجنود وكوسيلة لنقل إمدادات الجيوش التي كان يتعذر نقلها بالوسائل التقليدية. وقد فقد مئات الآلاف حياتهم خلال الحرب، بالإضافة إلى حرق الماشية وتدمير القرى والبنية التحتية من سكك حديدية ومرافئ بحرية وطرق برية. واعتبرت مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية (تنزانيا، رواندا وبورندي حاليا) المستعمرة الأكثر تضررا من الحرب العالمية الأولى، قياساً بحجم الدمار الهائل الذي لحق بها، إضافة إلى انتشار المجاعة وفيروس الأنفلونزا، الذي استمر انتشاره بين السكان بخمسين 50 سنة بعد انتهاء الحرب. أملا أن يجد القارئ في هذا المقال تحليلا كافيا لمدى تأثير هذه الحملة العسكرية على المنطقة ومستقبلها. وذلك من خلال المحاور التالية:

أولاً: مميزات الحملة العسكرية بشرق إفريقيا.

ثانياً: مجريات الحملة العسكرية بشرق إفريقيا 1914/1918.

ثالثاً: آثارها.

1- مميزات الحملة العسكرية بشرق إفريقيا:

كان النصر الذي حققه الألمان في أوروبا في الأسابيع الأولى من اندلاع الحرب العالمية الأولى يوم 28 جويلية 1914، سيسمح بتحقيق حلم الكثير من الإمبرياليين الألمان بوسط إفريقي *Mittelafrika* يربط بين مستعمراتهم (1) في غرب إفريقيا (الطوغو والكامرون) وإفريقيا الشرقية الألمانية، حتى يمكن استغلال المواد الأولية الخام الموجودة في إفريقيا الاستوائية لخدمة الصناعة الألمانية، وفي نفس الوقت تستطيع ألمانيا التحكم في الطرق التجارية والإستراتيجية بين المحيطين الهندي والأطلسي، ويجول نهائياً دون تحقيق حلم الإمبريالي البريطاني سيسيل رودس (2) Cecil Rhodes (Encyclopida Britannica, 2009) مؤسس شركة جنوب إفريقيا البريطانية *British South Africa Company* بتنفيذ طريق الكاب (3) Marquard Leo, London, (1945, p 52-54) - القاهرة *From Cape to Cairo* والذي دائما كان يردد قوله الشهير "من الكاب إلى القاهرة وباتجاه البحيرات الاستوائية والسودان توجد أراضي شاسعة يمكن أن تعوض بريطانيا العظمى عن الممتلكات التي خسرتها في أمريكا الشمالية" (4). وعليه، ظلت بريطانيا العظمى تتربص الفرصة السانحة للتخلص من الألمان، وضم مستعمراتهم الإفريقية إلى ممتلكاتها من أجل تعزيز مركزها الإمبريالي في المنطقة، وتقوية سلطتها وامتيازاتها فيما وراء البحار.

والجدير بالذكر أنه بعد بدأ العمليات العسكرية في أوروبا في الفاتح من شهر أوت 1914، لم يكن من المتوقع أن تمتد المعارك إلى شرق إفريقيا، وهذا بالرغم من التصريحات المستفزة التي أدلى بها بعض التجار وأصحاب رأس المال الألمان في شرق إفريقيا تعبيراً عن رغبتهم في الاستيلاء على الممتلكات البريطانية الموجودة بالمنطقة (5) (Ingham K, London , 1965, p 244-245).

وفي السياق ذاته، لم يتوقع الكثير من المستوطنين الأوروبيين المقيمين بشرق إفريقيا امتداد الحرب من أوروبا إلى المنطقة وهذا لوجود ظروف متشابهة بين المستعمرات البريطانية والألمانية، حيث لم يكن الطرفان مستعدين للحرب والقتال في المنطقة بحكم جهلهم بمعرفتها جغرافياً، لأنه لم يمر وقت طويل على احتلالها وتمركزهم على الساحل فقط مع جهلهم للمناطق الداخلية، وأن القوات القليلة الموجودة في المنطقة دربت على الحروب البسيطة ضد القبائل الإفريقية المحلية والتي كانت تدافع وتقاوم الأوروبيين بأسلحة بدائية هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان هناك تفاؤل كبير لدى الانجليز والألمان حول إمكان تفادي الحرب في منطقة البحيرات الكبرى، بتطبيق البنود المتعلقة بحياض حوض نهر الكونغو الواردة في المواد العاشرة والحادية عشر والثانية عشر من وثيقة مؤتمر برلين (1884/1885) (6) (Ingham K, London , 1965, p 244-245).

وبالرغم من هذا، تعاملت السلطات البريطانية مع تصريحات بعض المسؤولين الألمان في شرق إفريقيا بجديّة، حيث سارعت وزارة المستعمرات إلى إرسال تلغراف في جويلية 1914 تحذر فيه مسؤوليها في كينيا وتدعوهم إلى اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة. فقام على الفور الحاكم العام في نيروبي بتوزيع القوات العسكرية على طول حدود المستعمرتين (كينيا وأوغندا) وإعادة تشكيل فرق مشاة إفريقيا الملكية Rifles Kings Africain واستدعاء الجنود الاحتياطيين وتجنيد بعض المتطوعين الأوروبيين، وجمع القوات وإعفائها من جميع العمليات التي كانت مشتبكة فيها (7) (Ingham K, London , 1965, p 246-247). كما قامت السلطات الاستعمارية البريطانية بتجنيد وتشكيل وحدات من الأفارقة والأسويين المقيمين في كينيا واستدعاء فرق من مستعمرة الهند البريطانية لتدعيم القوات العسكرية الموجودة في شرق إفريقيا.

وفي المقابل لم يكن الألمان في دار السلام مهياًين ومستعدين استعداداً كاملاً، حيث كانت قوات المستعمرة غير مدربة على التكتيك الحربي، خصوصاً الفرق الإفريقية التي تم تجنيدها من القبائل المحلية (8) (Ingham K, London , 1965, p 244-245).

وبإيجاز، فإن الألمان في شرق إفريقيا قبل بداية الحرب كانوا متفوقين عسكرياً واستراتيجياً عن الانجليز. فحسب إدراك القائد العام للقوات الألمانية بشرق إفريقيا الجنرال فون لوتوفيريك (9) Von Lettow-verbeck (Wright Marcia, Oxford, 1971, p 140-141) بأن مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية لن تحصل على إمدادات ومساعدات من برلين في حالة اندلاع حرب أوروبية بسبب تحكم بريطانيا العظمى في المضائق والممرات البحرية في المحيطين الأطلسي والهندي (10) (Von Lettow-verbeck, London, 1920, p 12-13). ولهذا كان لزاماً عليه منذ تعيينه في جانفي 1914 كقائد عام للقوات الألمانية في شرق إفريقيا الاعتماد على مصادر شرق إفريقيا الخاصة.

وعلى هذا الأساس، بدأ في ربيع 1914 القيام بجولات استطلاعية إستباقية داخل أراضي المستعمرة والتعرف على أهم الأماكن الإستراتيجية المهمة ووضع إمكانياتها الاقتصادية تحت تصرف قواته. بالإضافة إلى ذلك كان فون لوتوفيريك يعتقد أن بريطانيا ستعلن حياض مستعمراتها في شرق إفريقيا وهذا لتجنب تشتيت قواتها بعيداً عن مركز الصراع في أوروبا، لأن هذه المعارك ستكون بريطانيا عدداً كبيراً من

الجنود البريطانيين وبالتالي تخفيف الضغط على جبهات القتال في أوروبا أين تجري المعارك الفاصلة (11) Ingham K, (London, 1965, p 246-247).

غير أنه ومع مرور الوقت، أدرك الجنرال الألماني فون لوتوفيربك أنه حسب الظروف التي تمر بها أوروبا، فإنه لا يمكن لا لبريطانيا وحلفائها ولا لألمانيا منع مد مسرح العمليات العسكرية الدائرة في أوروبا إلى شرق إفريقيا. وعليه، اتبع إستراتيجية محكمة وهي المبادرة بمهاجمة العدو داخل أراضيه، ففضل نقل قواته إلى الشمال قرب منطقة الكليمنجارو الإستراتيجية المجاورة لمستعمرة شرق إفريقيا البريطانية، وهذا لتوفر المنطقة على إمدادات غذائية مناسبة ووجود خط السكة الحديدية الذي يربط الساحل بمدينة موشي الداخلية. وفي نفس الوقت يمكن من خلال هذه المنطقة تهديد خط سكة حديد أوغندا الممتد بالتوازي مع حدود المستعمرة الألمانية، باعتباره الخط الوحيد الذي يربط المستعمرتين البريطانيتين (كينيا وأوغندا) بساحل المحيط الهندي وجعل القوات الإنجليزية في موضع الدفاع (12) Von Lettow-verbeck, London, 1920, p 2-21.

وبانتقال القوات الألمانية إلى الشمال وتجمعها قرب حدود مستعمرة شرق إفريقيا البريطانية (كينيا حالياً) في الفاتح من شهر سبتمبر 1914، أعلن رسمياً بداية العمليات العسكرية بشرق إفريقيا حيث هاجمت فرق المدفعية الألمانية الوحدات البريطانية والهندية المكلفة بحماية خط سكة حديد أوغندا قرب مدينة تساغو الحدودية (13) Von Lettow-verbeck, London, 1920, P 13).

2- مجريات الحملة العسكرية بشرق إفريقيا 1914/1918

اتضح لبريطانيا وحلفائها في الأيام الأولى من بداية الاشتباكات مع القوات العسكرية الألمانية، أن النصر السريع في شرق إفريقيا لن يتحقق بسبب جاهزية وتنظيم هذه القوات التي كانت تحت قيادة الجنرال فون لوتو فيربك Von Lettow-Vorbeck، الذي استطاع أن يحارب قوة مشتركة للحلفاء (بلغت بعد سنة 1915 عشرة أضعاف قوته) طوال فترة الحرب. وكانت القوات الألمانية تحت قيادة الجنرال فيربك Vorbeck تقدر بـ ثلاثة آلاف 3000 عسكري ألماني، وإحدى عشر ألف 11000 إفريقي. أمّا القوات المشتركة للحلفاء (14)، فكان عددها ثلاثمائة 300 ألف عسكري تحت قيادة مائة وسبعة وثلاثين جنرال (15) (Von Lettow-verbeck, London, 1920, p12).

شنت القوات الألمانية هجوما كبيرا في 11 سبتمبر 1914 على مدينة كيزي Kesi الإستراتيجية وقامت بالسيطرة على مركز الجمارك على شاطئ بحيرة فيكتوريا وأسرت كل الجنود الموحدين داخله، ولمواجهة الموقف على الحدود الغربية الجنوبية لمستعمرة شرق إفريقيا البريطانية أرسلت إدارة المستعمرة فرقة من جنود فرقة المشاة الإفريقيين الملكية، فتقدمت من منطقة كيندو Kendu إلى كيزي Kesii واشتبكت في قتال شديد مع القوات الألمانية، واستمر القتال حتى أنحسب الألمان بشكل مفاجئ بعد وصولهم معلومات سرية تفيد بقرب وصول كتائب بريطانية-هندية كبيرة إلى كارينغو Karungu لقطع الاتصال والإمدادات عن القوات الألمانية (16) (Downes. W. D, London, p 17-18).

ومع نهاية شهر سبتمبر من نفس السنة، حاولت وحدات عسكرية بريطانية-هندية النزول في مدينة تانغا Tanga الساحلية، ولكن محاولات النزول باءت بالفشل حيث قوبلت بمقاومة عنيفة من قبل الألمان الذين كثفوا عمليات القصف، واستمرت هذه الاشتباكات بين الطرفين إلى غاية 5 نوفمبر 1914 حيث صدرت أوامر للسفن البريطانية بالانسحاب (17) Von Lettow-verbeck, (

(London, 1920, p 35-48). ومثل انتصار القوات الألمانية في تانغا منعرجا حاسما بالنسبة إليهم، حيث ارتفعت معنوياتهم نتيجة الضربة الشديدة التي وجهت للهيبة البريطانية.

وباختصار، كانت معظم العمليات العسكرية التي ميزت سنة 1914، عمليات ثانوية وصغيرة لم ترقى إلى مستوى الحرب الحقيقية. غير أن طابع هذه العمليات مع بداية سنة 1915 أخذ شكلا آخر بدخول القوات البحرية الألمانية في عمليات الهجوم على المدن والتحصينات البريطانية ومنها مدينة ممباسا الساحلية، غير أن القوات البريطانية تصدت لهذا الهجوم وأرغمت الألمان على التراجع. وبالموازاة مع هذا، هاجمت سفن الأسطول البريطاني في بحيرة فيكتوريا المراكز الألمانية بالقنابل وألحق أضرارا كبيرة بالزوارق الألمانية الموجودة في البحيرة، ونقلت وحدات قتال برية بريطانية-بلجيكية تمكنت بفضل خبرة الجنرال البريطاني ستewart من اختراق التحصينات الألمانية على الشاطئ الجنوبي لبحيرة فكتوريا ودخلت مدينة بوكوبا Bukuba في 20 جوان 1915 وهزمت القوات الموجودة فيها وألحقت بها خسائر فادحة (18) (Horden, C, London, 1923, p 23-24). ورغم أن هذه العملية لم تكن ذات أهمية عسكرية كبيرة إلا أنها رفعت من معنويات البريطانيين في وقت كان فيه من الصعب إحراز انتصار على القوات الألمانية في الكيلمنجارو والمدن الساحلية.

وبانتهاء سنة 1915، انتهت تقريبا الفترة الأولى من العمليات العسكرية التي تميزت بوقوف القوات باستثناء معركة بوكوبا- البريطانية والبلجيكية موقف الدفاع، واتخاذ القوات الألمانية موقف الهجوم. ودخلت الحرب بعدها فترة تميزت بالنشاط واتخاذ القوات البريطانية موقف الهجوم خاصة بعد تعيين الجنرال سمطس Smuts (19) (Palmoski, Jan, Oxford, 1997, p 559) قائدا عاما للقوات البريطانية في شرق إفريقيا مع بداية سنة 1916.

وقد أقامت القوات الألمانية تحصينات على طول الشريط الساحلي، بلغت درجة عالية من الإحكام، و تصدت لهجوم بريطاني شنته طرادات بريطانية على مدينة باجاميو Bagamoyo ودار السلام الساحليتين، كما تمكنت من إفشال محاولات الإنزال المتكررة من طرف قوات الحلفاء البريطانية والبلجيكية على ميناء دار السلام في المحيط الهندي، والتي كان آخرها في شهر مارس 1915، حيث استطاعت القوات الألمانية تعطيلها إلى أطول فترة ممكنة (20) (Bustin, Edouard, Londre, 1958, p 451).

وابتداءً من شهر فيفري سنة 1916، تمكنت القوة المشتركة للحلفاء بقيادة الجنرال سمطس Smuts وبالتنسيق الكبير فيما بينها، من تضيق الخناق على القوات الألمانية في الشمال الغربي، ومن اختراق أراضي المستعمرة الألمانية، وهذا ما حدث في أقاليم روسيسي Russissi وشنغوغو Changugu وكاجاكا Kajagga، حيث أجبرت القوات البلجيكية، وبعد قتال عنيف، الألمان على سحب قواتهم من نقاط عدة على الحدود في أقصى جنوب بحيرة تنجانيقا (21) (Gewald, Jan,-Bart, Netherlands, 2005, p 17-18). وفي منتصف سنة 1916، تمكنت القوات المشتركة البريطانية-البلجيكية من التقدم على طول السكة الحديدية الرابطة بين مدينة فوي voi الأوغندية ومدينة تانغا على المحيط الهندي وتأمين المناطق الشمالية (22) (Gewald, Jan,-Bart, Netherlands, 2005, p 17-18).

والجدير بالملاحظة أن الجنرال لوتو فيربك Vorbeck قد أعاد انتشار قواته في المنطقة الواقعة جنوب غرب الكيلمنجارو بالقرب من مدينة سانيا Sanya. مما جعل الجنرال سمطس Smuts يصر على ضرورة وضع خطة عسكرية محكمة، للسيطرة على المناطق المجاورة لجبل الكيلمنجارو، حيث بدأ مع نهاية سنة 1916، في إقامة تحصينات في الجزء الغربي من مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية، تمكن خلالها،

من احتلال مدينة موشي Moshi وساليتا Saleita بعد قتال عنيف ضد القوات الألمانية في المنطقة، وبالتالي إحكام السيطرة على جل المناطق الواقعة بين جبل الكيلمنجارو وهضبة ميرو Meru في أقصى الشمال الشرقي (23) (Gewald, Jan,-Bart,) (Netherlands, 2005, p 17-18).

وقد كانت القوات البلجيكية (24)، في هذا الوقت تركز سلطتها في وسط إقليم بورندي المكتظ بالسكان Burundi شرق البلاد ، حيث تمكنت بالمشاركة مع القوات الإنجليزية من السيطرة على المناطق التي كانت خاضعة للقوات الألمانية، الواقعة بين بحيرتي تنجانيقا وفيكتوريا Victoria، واحتلال مدينتي كيغوما Kigoma وأوجيجي Oudjidji (25) (Cornevin, Robert, Paris,) (p95-96). وبهذا تكون القوات المشتركة للحلفاء قد استولت على نسبة 85 بالمائة من المساحة الإجمالية لمستعمرة شرق إفريقيا الألمانية.

وفي الفترة الممتدة من 13 مارس إلى 06 جوان 1917، تمكن الجنرال فون دفنتر Van Deventer، قائد فرق مشاة إفريقيا الملكية Rifles Kings Africain من السيطرة على إقليم أوزمبرا Uzambra ومدينة مبابوا Mpapua التي تقع غرب خط سكة الحديد المركزية (26) كما استطاع الجنرال دفنتر التقدم شرقاً نحو إقليم كاهاما Kahama، ومنها إلى مدينة كيتوغا Kitega بالقرب من بحيرة تنجانيقا التي احتلتها القوات البريطانية سابقاً (27) (Cornevin, Robert, Paris, p95).

وتجدر الإشارة إلى أن القوات الألمانية في هذه الفترة واجهت مشاكل كبيرة؛ تتجلى في عدم قدرة العسكريين الألمان في التنسيق فيما بينهم، بسبب تدمير الحلفاء لنظام المواصلات الألماني (شبكة التلغراف) وسيطرة القوات البريطانية على موانئ المستعمرة، مما حال دون وصول المساعدات إلى الجنرال لوتو فيربك Vorbeck، الذي استطاع إبقاء المقاتلين الأفارقة معه طيلة الحرب في ظروف جد صعبة.

وكان الجنرال لوتو فيربك، يتجنب الدخول في معارك فاصلة مع القوة المشتركة للحلفاء، مكتفياً بحرب العصابات، لأن هذه الأخيرة كانت تفوقه عدة وعتاداً. وعليه، أُجبر الألمان بالتراجع إلى ما وراء نهر روفوما Rovuma قاصدين أراضي شرق إفريقيا البرتغالية (الموزمبيق الآن) بعد أن كان الحلفاء قد استولوا على مدينتي روبوندا Ruponda ونشينغوا Nachingwea في أكتوبر 1917 الواقعتين جنوب شرق البلاد، أمّا في الشمال فقد أجبرت قوة إنجليزية مدعمة بكتيبة هندية بالقرب من الكيلمنجارو، فرقة عسكرية ألمانية على الاستسلام عندما حاولت الانسحاب جنوباً للالتحاق بقوات الجنرال فون لوتو فيربك في نهاية سنة 1917 (28) (Listowel, Judith, London, 1965, p 60) وبهذا تكون القوات الألمانية قد فقدت آخر معاقلها في مستعمرتها شرق إفريقيا.

وتواصلت المعارك في شمال الأراضي الخاضعة للاستعمار البرتغالي بين القوات البريطانية والبرتغالية والقوات الألمانية المتعبة، وكان هدف الجنرال سمطس Smuts القائد العام لقوات الحلفاء في شرق إفريقيا، هو محاصرة الجنرال لوتو فيربك Vorbeck وجنوده في أراضي إفريقيا الشرقية البرتغالية، ومنعه من عبور بحيرة نياسا Lake Nyasa (29) باتجاه أراضي شمال روديسيا (30) (Ward F. E) (and White, L.W, London, 1971, p 80-81).

وبين نهاية سنة 1917 وبداية سنة 1918، أصبح الجنرال فون دفنتر Van Deventer قائداً عاماً للقوات المسلحة البريطانية في شرق إفريقيا، والذي اعتمد على إستراتيجية جديدة في محاصرة ما تبقى من قوات الجنرال الألماني فيربك، عن طريق استعمال وحدات التدخل السريع، خصوصاً إذا ما علمنا في هذا الوقت أن الجنرال فيربك قسم قواته إلى فرق صغيرة، مبعثرة على مساحة شاسعة من البلاد،

وتجنب الدخول في معركة حاسمة مع الحلفاء، والاكتفاء بحرب العصابات للريح الوقت، وهذا بالرغم من وعورة التضاريس وصعوبة المسالك البرية مع نقص وسائل النقل (31) (Gewald, Jan,-Bart, Netherlands, 2005, p 18-19).

وواصل الجنرال الألماني لوتو فيربك Vorbeck، الصمود في المنطقة المحاذية لنهر روفوما Rovuma مع مقاومته الصغيرة إلى غاية شهر سبتمبر 1918، أين عبر مرة ثانية إلى أراضي مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية، باتجاه مدينة مبامبا Mbamba بالقرب من بحيرة نياسا، وتمكنت قوة مشتركة إنجليزية-برتغالية من مطاردته حتى بلغ شمال روديسيا. والجدير بالذكر أن هذه التطورات تزامنت مع الإعلان الرسمي لوقف إطلاق النار في أوروبا، بين الحلفاء وألمانيا في أواخر شهر نوفمبر 1918. (32) (Listowel, Judith, London, 1965, p 61-62)

وفي 25 نوفمبر 1918، استسلم الجنرال فون لوتو فيربك Vorbeck في مدينة أبروكورن Abercorn شمال روديسيا(زامبيا الآن)، مع ما تبقى معه من المحاربين الأوربيين والأفارقة (33) (Listowel, Judith, London, 1965, p 61-62).
3- آثارها:

كانت منطقة شرق إفريقيا الألمانية أكثر مظاهر السلطة الأوربية المطلقة التي عرفتها القارة الإفريقية إبان الحرب العالمية الأولى (1918/1914) إثارة للرعب والدمار والخراب؛ فقد كان المدى الذي وصل إليه تدمير القرى والمزارع وانتشار المجاعة والمرض والخسائر في الأرواح الإفريقية، تعبيراً عن القوة النارية الهائلة، وعن عدد القوات العسكرية المشاركة في هذه الحرب العنيفة، بين الجيش الألماني بقيادة الجنرال فون لوتو فيربك، وقوات الحلفاء بقيادة الجنرال سمطس، حتى أن لجنة أورمسي-جور Ormsby-Gore البرلمانية البريطانية التي زارت منطقة شرق إفريقيا سنة 1924 لتقصي وفحص أحوال مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية التي دارت معظم الحملات العسكرية فوق أراضيها، قد كتبت تقول "أنه ما من منطقة في إفريقيا، قد عانت من الخراب والدمار وانتشار المجاعة والمرض والأوبئة إبان الحرب العالمية الأولى، مثلما عانت تنجانيقا" (34) (Quoted in Braguinski, p 24).

تجدر الإشارة أن معظم المعارك الحربية جرت فوق أراضي شرق إفريقيا الألمانية و لمدة أربع سنوات متصلة، مما نتج عنه حدوث خسائر جسيمة في أرواح الأهالي وممتلكاتهم. فقد قُدرت خسائر الأرواح الإفريقية المجددة في الجيش الألماني بـ 1798 إفريقي، حيث استطاع الجنرال الألماني فيربك من إبقاء المقاتلين الأفارقة معه طيلة أربع سنوات في ظروف جد صعبة، ومن خلالها برز الجنرال فيربك كقائد عسكري مهنك في الحملة العسكرية بشرق إفريقيا، ضد الجيوش البريطانية والبلجيكية والبرتغالية المتحالفة ضده، أمّا الخسائر الألمانية فقد قدرت بـ 734 مقاتل أوروبي ثلثاهم من الألمان. في حين قدرت الخسائر البريطانية بـ 3433 بين قتيل وجريح، ولم تتجاوز خسائر القوات البرتغالية والبلجيكية الألف قتيل، بالإضافة إلى عدد غير معلوم من الأفارقة (35) (Browon, Samaler, A, and 1929, p 612) (Gordon Brown, London, 1929, p 612).

وتسببت الحرب في وفاة أكثر من 300.000 شخص من السكان الإفريقيين، بسبب وباء الأنفلونزا Epidemic Of Influenza، وحمى الملاريا، ومرض الجدري Smallpox، وانتشرت هذه الأمراض في البلاد كلها بين سنة 1918 و1919، والذي سهل انتشارها هو تنقلات الأعداد الهائلة من القوات والحمالين الأفارقة لدى عودتهم إلى ديارهم (36) (Taylor, C,J, 1963, p 24) (California, 1963, p 24).

والجدير بالملاحظة أن استمرار الحرب في شرق إفريقيا الألمانية لمدة أربع سنوات متتالية، نتج عنه تضرر اقتصادي كبير للمنطقة. حيث أدت الزيادة في الطلب عن المحاصيل الغذائية مثل القمح والذرة والقطن والمحاصيل الاستوائية، من أجل تغذية السكان في أوروبا، والجيش من المقاتلين والحمالين على جبهات القتال في الحملات العسكرية في إفريقيا - وهذا كتعويض عن محصول القمح الذي كان ينتج في أوروبا، والذي تعرضت معظم مزارعه للدمار والحرق بسبب المعارك التي كانت تشهدها القارة الأوروبية - إلى استنزاف مناطق واسعة من شرق إفريقيا (37) (Ward F. E and White, L.W, London, 1971, p 83).. كما افتقرت المزارع والورشات الصناعية في شرق إفريقيا إلى اليد العاملة، بسبب فقدان عدد كبير من الجنود والحمالين الأفارقة أثناء الحرب، الذين كان عدد كبير منهم يشتغل في الزراعة وتربية المواشي، وقد أدى هذا النقص في اليد العاملة إلى انخفاض الإنتاج حينما كانت الزراعة كمزارع البن والقطن والسيسال، والصناعة التعدينية كورشات السكك الحديدية والمناجم تعتمد عليهم.

يجب الإشارة هنا هو أن عدد الأموات في صفوف الحمالين كان أكبر بكثير من المقاتلين، لأن العتاد العسكري وغذاء الجنود كله كان ينقل من طرفهم، مما جعلهم عرضة للهلاك أكثر من غيرهم، خاصة مع وعورة التضاريس وكثرة الأوحال، وصعوبة المناخ الاستوائي، ومساحة البلاد الشاسعة ونقص الطرق البرية مع ثقل الأسلحة وانتشار الأمراض بسرعة؛ خاصة حمى الملاريا التي فتكت بعدد كبير منهم، إضافة إلى سوء التغذية وطول فترة المعركة التي تمتد أحيانا إلى عدة أسابيع.

والملاحظ أيضا أنه طيلة الحرب لوحظ تزايداً في تدخل الطرفين المتنازعين في اقتصاد المنطقة، سواء في شكل تحديد الأسعار والاستيلاء على المحاصيل الغذائية من مواشي وحبوب، أو فرض زراعة محاصيل معينة على العمال الذين حشدوا بشكل كبير للمشروعات الأساسية في المنطقة، مما نتج عنه نقص كبير في المواد الغذائية الاستهلاكية، والتي استمر نقصها لفترة طويلة من الزمن؛ الأمر الذي أدى إلى انتشار المجاعة والأوبئة بين السكان، بسبب ارتفاع نفقة المعيشة وانخفاض أجور العمال في مزارع العمل الأوروبية (38) (Ward F. E and White, L.W, London, 1971, p 83-84).

وإلى جانب هذا، فقد تعرضت مناطق كثيرة في البلاد إلى الدمار الهائل بسبب المعارك الطاحنة التي دارت بها. وذكر بعض المصادر أن الكثير من القرى في وسط البلاد قد تعرضت إلى تدمير كامل، وإلى إتلاف المزارع والحدائق التي كان يعتمد عليها السكان في توفير قوتهم اليومي، مما نتج عنه هروب عدد كبير منهم وفرارهم إلى المناطق الأكثر أمناً، الأمر الذي أدى إلى التأثير سلباً على الإنتاج الزراعي الذي عرف تراجعاً كبيراً، خاصة مزارع السيسال والقطن والمحاصيل الزراعية كيلي (39) (Bates, Margeret, Oxford, 1957, p 41).

وقد كانت آثار الدمار واضحة على المدن التي شهدت أعنف المعارك؛ كمدينة موشي Moshi في منطقة الكيلمنجارو، ومدينة كورغو القريبة من مدينة تانغا الساحلية، كما ألحقت أضراراً كبيرة بخط السكة الحديدية الذي يربط بين مدينة تانغا على الساحل ومدينة طابورا في وسط البلاد، خاصة في منطقة أوزمبرا التي شهدت معارك عنيفة وأسفرت عن خسائر كبيرة في الأرواح، بالإضافة إلى تدمير كلي لخط السكة الحديدية (40) (Listowel, Judith, London, 1965, p 70).

وكنتيجة لهذا، فقد عرفت عدة مناطق من البلاد هجرة جماعية للقبائل الإفريقية، بسبب سوء الأوضاع المعيشية وانتشار الأمراض والأوبئة ونقص الغذاء والمياه الصالحة للشرب، ومن بين هذه القبائل قبيلة غوغو Gogo التي كانت تقطن بمنطقة دودوما Dodoma في وسط البلاد، وقبائل الشاغا Chagga بالقرب من الكيلمنجارو، وقبيلة الواهيهي (41) (بكاي منصف، الجزائر، 2009، ص

130-131)، كما عرفت منطقة الجنوب الغربي كذلك هجرة بعض الجماعات من أراضيها إلى منطقة توزيع المياه في الشمال الشرقي للبلاد، بعد أن فقد هؤلاء حل رؤوس ماشيتهم.

وبالرغم من حجم الدمار الهائل الذي لحق بمنطقة شرق إفريقيا الألمانية من جراء الحملة العسكرية، خاصة في الأعداد الكبيرة من الوفيات الناشئة عن انتشار وباء الجدري والأنفلونزا وحمى الملاريا. إلا أن البلاد عرفت نوع من التنمية الصناعية، حيث أتت الحرب ولأول مرة بالآلات الحديثة، وأتت معها إلى كثير من أنحاء مستعمرة شرق إفريقيا الألمانية بالطرق التي يمكن أن تستخدمها هذه الآلات. فقد أدت الحملة العسكرية المطولة بشرق إفريقيا ضد الألمان ومشكلة نقل الإمدادات إلى بناء عددا من الطرق، مثل الطريق الذي يربط بين مقاطعة دودوما في الوسط وتوكويو Tukuyu في الطريق الشمالي لبحيرة نياسا، والتي خفضت زمن الرحلة بينهما إلى ثلاثة أو أربعة أيام، بعد أن كانت الرحلة تستغرق ثلاثة أسابيع على الأقل. كما تطورت الموانئ وتوسعت بسرعة في المناطق التي شهدت نشاطاً حريياً منتظماً، أو تلك التي كانت بحاجة إلى وجود تسهيلات لعبور الإمدادات لقوات الحلفاء، كميناء تانغا في الشمال بالإضافة إلى مينائي دار السلام وكيلوا Kilwa الذين شهدا عمليات إنزال كبيرة للحلفاء (42) (Wright Marcia, Oxford, 1971, p 148-149).

وبعد استسلام القائد الألماني الجنرال فون لوتو فيربك مع ما تبقى من قواته للحلفاء في شمال روديسيا يوم 25 نوفمبر 1918، تكون الحرب العالمية الأولى (1918/1914) في شرق إفريقيا، قد انتهت، وأُنهِت معها الحكم الألماني في البلاد التي أصبحت تحت سيطرة القوات البريطانية والبلجيكية، حيث ركزت هذه الأخيرة سلطتها في إقليم رواندا وبورندي في الضفة الشمالية الشرقية لبحيرة تنجانيقا، والتي أصبحت تشكّلان فيما بعد إقليم البحيرات الكبرى، فيما سيطرت القوات البريطانية على كل ما تبقى من أراضي شرق إفريقيا الألمانية (43) (Taylor, C,J, California, 1963, p 24).

وعلى ضوء هذا، نستنتج أن الحرب العالمية الأولى قد زادت من تعزيز مراكز الامبريالية الأوربية في منطقة شرق إفريقيا؛ ف بموجب المادة 119 من معاهدة الصلح الموقعة في فرساي Versailles سنة 1919، أُرغمَت ألمانيا على التنازل عن جميع مستعمراتها التي تقع فيما وراء البحار لصالح الحلفاء، ومن بينها منطقة شرق إفريقيا الألمانية (تنجانيقا لاحقاً) (44) (Cornevin, Robert, Paris,) (p 102).

وقد رغبت الدول المنتصرة في الحرب، ومن أجل تفادي صراعات أخرى، إنشاء هيئة عالمية تسمى عصبة الأمم League of Nations. وتم الاتفاق بناءً على مبادرة من الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون Woodrow Wilson ، أن الدول التي استولت على المستعمرات الألمانية، تكون وصية عليها نيابة عن عصبة الأمم. حيث تم في هذا السياق إنشاء لجنة للانتداب بتأييد بريطاني كبير حينما تقدم العمل في العصبة. وبناءً على المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم، فقد أصبحت المستعمرات الألمانية تحت الانتداب وتحت إدارة دول عضوة في عصبة الأمم تكون مسؤولة عن تنميتها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، على أن تقدم هذه الدول تقارير سنوية إلى لجنة الانتداب التابعة لعصبة الأمم في مركزها بمدينة جنيف في سويسرا (45) (Walter, M.H, Geneve, 1969, p 30-31).

وفي عام 1922، منح مجلس عصبة الأمم المكون من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا العظمى حق الانتداب على منطقة شرق إفريقيا الألمانية (تنجانيقا لاحقاً) (46) (Carter, M.G, New York, 1962, p 404) ، باستثناء الأجزاء التي تقع شمال غرب البلاد والتي تشمل مقاطعتي رواندا وبوروندي، فقد حصلت بلجيكا على حق الانتداب عليهما،

عرفاناً لها على مساعداتها العسكرية للإنجليز ضد ألمانيا بشرق إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى (1914/1918) (47) Ward (F. E and White, L.W, London, 1971, p 61).

خاتمة

انتهت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر 1918 وانتهت معها الحكم الاستعماري الألماني في شرق إفريقيا، غير أن حالة الإفريقيين لم تتغير كثيراً نحو الأفضل في السنوات التي تلت الحرب. فبالرغم ما نصت عليه وثيقة الانتداب التي تسلم الحلفاء المنتصرون بمقتضاها إدارة مستعمرات ألمانيا في إفريقيا نيابة عن عصبة الأمم باعتبارهم مسؤولين عن تنميتها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، إلا أنه بالنظر إلى ضعف عصبة الأمم فلم يكن من الممكن مثلاً عمل الشيء الكثير بشأن الأوضاع المزرية للسكان المحليين في شرق إفريقيا الألمانية الذين أصبحوا تحت نظام حكم الانتداب البريطاني. فالنسبة للإفريقيين فإن تجربة الحكم الألماني الوحشية قد استبدلت بحكم يلتزم بسياسات عنصرية وبتشجيع استيطان البيض في البلاد واستغلالها أبشع استغلال.

وبالرغم من أن هذه الحرب، كانت حرباً أوروبية كما اشرنا سابقاً، إلا أنها وضعت نهاية لتقسيم إفريقيا الذي بدأ عام 1884 من جهة، ومحاولات استرداد الأفارقة لاستقلالهم وسيادتهم، من جهة أخرى. غير أن أهم ملاحظة يمكننا استنتاجها أن هذه الحرب قد بذرت الأفكار الخاصة بتقرير الشعوب لمصيرها، وكانت في نفس الوقت مدخلاً إلى عشرين عاماً من الهدوء والسلام. حيث ساهمت فترة الهدوء والسلام هذه إلى درجة كبيرة في تطور الحركات الوطنية التحررية الناشئة. ولكن كان لابد من وقوع حرب عالمية ثانية لتتمكن هذه الحركات الوطنية من وضع حد للنظام الاستعماري الأوروبي الذي فرض نفسه على إفريقيا في القرن التاسع عشر.

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر:

- 1-Von Lettow-Verbeck: My Reminiscences of East Africa, Hurst and Blackett, London, 1920.
- 2- Horden, C: Military operations in East Africa, vol.1, London, 1923.

2-المراجع:

أ- العربية:

- 1- بكاي منصف، أضواء على تاريخ أفريقيا، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 2- م. كراودر، الحرب العالمية الأولى ونتائجها، (تاريخ إفريقيا العام)، المجلد السابع، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1990.

ب- الأجنبية:

- 1-Bates, Margaret: Tanganyika under British administration (1920-1955), Oxford University Press, Oxford, 1957.
- 2-Brown, Samal A, and Gordon (eds) .The South and East African year book and guide with Atlas 35th edition .London , 1929.
- 3- Bustin, Edouard: La Décentralisation administrative et l'évolution des structures politiques en Afrique orientale Britannique, Faculté de Droit de Liège, Londres, 1958.
- 4- Beck, A: Medicine and society in Tanganyika 1890 –1930: A historical inquiry, American Philosophical Society, Philadelphia, 1977.
- 5- Braguinski, M et Loukonine, Y: Aperçu d'histoire du mouvement de libération nationale dans les pays d'Afrique orientale, Editions du Progrès, Moscou, (S.D).
- 6- Cornevin, Robert : Histoire de la colonisation allemande, Presses Universitaires De France, Paris, 1969.
- 7- Carter, M.G (ed): African one-party states, Cornell University Press, New York, 1962.
- 8- Downes.W .D : With the Nigerians in German East Africa, London.
- 9- Gewald, Jan-Bart: Colonial warfare (Hehe and world war one, the wars besides Maji-Maji in south-western Tanzania), African Studies Centre, Netherlands, 2005.
- 10- Ingham, K.: A history of East Africa, Longmans, London, 1965.

- 11- Listowel, Judith: The making of Tanganyika, Chatto and Windus, London, 1965.
- 12- Marquard, Leo: The Story of South Africa, OUP, London, 1945.
- 13- Palmowski, Jan: Dictionary of twentieth century (world history), Oxford University Press, Oxford, 1997.
- 14- Taylor, C.J: The political development of Tanganyika, Stanford University Press, California, 1963.
- 15- Von Lettow-Verbeck: My Reminiscences of East Africa, Hurst and Blackert, London, 1920.
- 16- Wright, Marcia: German missions in Tanganyika 1891 – 1941, Oxford University Press, Oxford, 1971.
- 17- Ward, F.E and White, L.W: East Africa- A century of change (1870-1970), Ruskin House Museum Street, London, 1971.
- 18- Walter, M.H: British administration in Tanganyika from 1920 to 1945, Imprimus S.A, Geneva, 1969.

3- الموسوعات:

-Encyclopedia Britannica. "Rhodes, Cecil" Encyclopedia Britannica 2009, Student and Home.

الملاحق

الخصائص الإقناعية للرسائل الإعلامية ذات المنفعة العامة المتعلقة بالاتصال الاجتماعي

أ. بريك الزهرة

جامعة البليدة 2

ملخص

يدور موضوعنا حول الخصائص الإقناعية للرسائل الإعلامية ذات المنفعة العامة ، هذه الرسائل التي هي أساس الاتصال الاجتماعي الرامي إلى تغيير السلوكيات الضارة في المجتمع، والتي يشكل فيها الإقناع العامل الأساسي الذي يعول عليه من أجل تحقيق هذا الهدف، الذي يتطلب بلوغه جهودا معتبرة من قبل القائم بالاتصال لأجل إحداث الأثر الإقناعي على مستوى الجمهور المستهدف، وهذا ما حاولنا توضيحه والتطرق إليه من خلال موضوعنا.